من قبل اتصال علاقة اى امة من الامم الاوروباوية مع الصين ومع هذا فيمكننا على وجه الاحتمال ان
ان نشرح لك فى هذا الزعم الذى طمعت فيه لانه من الضرورى لنا ان ننشر فى هذا التاريخ مشروعات الامم
الاوروباوية عموما فى الشرق لاجل كشف الغطا عن التاريخ الهندى او على وجه التنوير والاخبار لتاريخ
المملكة البريطانية فى الشرق وكذا من الضرورى لنا هنا ان ننشر مختصرا على التاريخ الروسى بسبب انه فى درجة
واحدة مع الشرق وبسبب ما لهذه الدولة من الاغراض والمقاصد المتعلقة بالهند والصين وفى الحقيقة
اغراضها بممالك الدنيا الاسياوية اذ ان هذه الاغراض ليست الان فى خفية وانها سببا فى وقوع
الارتباكات والقلاقل السياسية الاوروباوية زيادة عن كل امر آخر ولو ان الاعمال الروسية غير واقعة
مباشرة على الهند الان فهى قطعية وجارية مع الامتداد والغلبة على الاراضى المجاورة للهند واستشعرت
فارس فى كافة مشروعات عروقها بمس الرماح القوزاقية لها وتعدى القيصر الروسى وغلبته على
اراضى واسعة حول المملكة الصينية ومن المعلوم ان التاتار الذين فتحوا الروسيا وكانوا ملوكها كانوا
فى معاملات وعلاقات مع الهند والصين ولما حاز القيصر بازيليوس الدوق الرابع او الحاكم فى
شموتشكو وبليشكو استقلالية نفسه من اباطرة التاتار فى نحو سنة ١٥٠٨ بعد الميلاد قال
الروسيون ان علاقات التجارة والاخذ والعطا استمر باقيا بين الروسيون والصينيون والاقوال
التى ذكرها مورخى الروسيين فى هذا الصدد مناقضة بعضها بعضا وليست على ثبات تام الا انه
يوجد دليل كاف على ان الروس من مدة قديمة كانوا جاريين بعض المعاملات التجارية مع بعض الامم
الموجودة فى الثغور ودخلت هذه المعاملات بواسطة هذه الامم فى الاقاليم القاصية الاسياوية
ثم انه فى منتصف القرن السادس عشر استحوذت روسيا على اشطرخان ومدت شوكتها وسلطنتها على
عموم طول نهر ولغا الى حد بحر الخزر ومن هنا كانت المعاملات التجارية مع الامم الشرقية على حسب
الطريقة الخشنة الوحشية التى كانت موافقة لصفتها وعوايدها واستمر الفرس والروسيون كما
داك والروسيون فى اشتغال كبيرة فى التجارة على حسب طبيعة العصر ودرجة وجود الحضارة و
التمدن التى وصل اليها الناس فى ذلك الوقت والذى يمكننا قوله فى هذه المادة فى عموم الاحوال
انه بينما كان البرتقاليون جاريون البحث على طريق تجارة مع الصين من طريق البحر دام الروسيون
على هذا المقصد مع الحدة والشدة من طريق البر ومن قبل ان تجار الفلمنكيين او بحريتهم يضعون
اقدامهم على سواحل الصين بمدة طويلة فان سيبريا الى الروس استحوذوا بالعقل على اراضى صينية و
بواسطة امتزاج عجيب من الخدع والقوة والاخذ والعطا جعلوا لهم تجارة مع الصينيين ومهما كانت
عظيمة الحيلة فى المدة التى حصلت من البرتقاليين فى التجارة مع الصين فانه لم يوجد دليل يستدل
منه على سبق الروسيين فى هذه المادة لكل من الانكليز والفلمنكيين والمعول الذى اتخذته الروسيين
فى هذا الموضوع هو ان روسيا ارسلت فرقا من العسكرية الى الحدود على اسم التجارة من جهة وعلى
اسم استتباب الامن والراحة من جهة اخرى من قبل دخول السفن البرتقالية فى المياه الصينية
بمدة طويلة وقد ذكر المستر اوبر هذه المادة واعتنى فى وجه الالتفات الى الدقة فيها بحيث لم يذكرها
احد غيره عندما كان رئيس قلم تحريرات فى ديوان نظار الشركة الشرقية المصرية واثبت بوجه قوى
حالة تجارة الحدود التى كانت جارية بين الصينيين والروسيين وفى القرن السادس عشر بينما كانت
هولندة جايل فى فكرها وخاطرها حصول تجارة مع الصين وانكلترة مجتهدة اجتهادا متزايدة
فيه فى تيسيرها الحصول على تجارة لها فى الشرق والبرتقاليون فى مشروعات كبيرة غير متحققين منها
فى تجارتهم مع الصينيين قام الروسيون فى هيئة محاربين على الحدود الصينية وتاجروا وسلاحهم
فى ايديهم رغما عما كان من صدور الاوامر من حكام الصينيين واباطرتهم القاضية بمنع المعاملة
مع الروسيين فقال المستر اوبر فى هذه المدة ان الروسيين فى نحو المدة الاخيرة من القرن
السادس عشر دخلوا من طريق سيبريا حتى وصلوا الحدود الصينية فقام الغضب والحنق فى وجوه
الصينيين من الاعمال الشديدة العنيفة التى حصلت لهم من جيرانهم المستجدين وشيدوا قلاعا و
معاقل وحصونا من اجل حماية ثغورهم ووقع بينهم وبين الروسيين مناوشات ووقايع صغيرة
كان المنظور فيها وقوع حرب كبير ثم ان الروسيين تركوا هذه السياسة ولازموها فى شن
الغارات على الصينيين فى ذلك الوقت فكان لهم النصر تارة والهزيمة والخيبة اخرى حتى هدموا الحدود
الصينية وشيدوا لانفسهم كرخانات وبيوت تجارة واخذوا من الاراضى على قدر ما خلت لهم هذه
الكرخانات وضبطوها بقوة السلاح فكان الصينيون يغيرون على ضواحى المحلات الروسية ويقفون
فى مبانيها ويزرعونها الدمار والخراب الا ان هذه كانت نادرة الوقوع على الغارات التجارية

التجارية وكان الموسقوبيون يعاملون الصينيون بمثل هذه المعاملات فى الانتقام والبطش بهم وكانت
اجراءات الروسيون جارية مع التقدم والدخول فى الاراضى الصينية الى ان هاجت حروب وانواع هجوم
شديدة من الصينيين وارغموا الروسيون على تقوية محلات مراكزهم لتكون نقط وجهات منفردة للحركات
الجورية والقهرية الذى عجلتهم اجراءه فيما بعد وفى ظرف مدة كبيرة من القرن السابع عشر فى وقت ما كانت
التجارة البرتقالية آخذة فى الضعف والاضمحلال وكان للفلمنكيين والانكليز مصادمات عدوانية فى
البحور الشرقية والبغضاء والخلاف والمصايب متمكن بين هاتان الدولتان فى اوروبا كان الصينيون
والروسيون ملازمون على تجارات حروب مدمرة فى حدود اراضيهم ولازم الروسيون على شن
الغارات فى داخل الاراضى الصينية واصر الصينيون على المواظبة فى الغارة والهجوم على هولاء الاجلاف
الاشرار الى ان صار من الضرورى فى جمادى سنة ١٦٨٩ لامبراطور الصين عقد معاهدة ودادية
مع اخوه القيصر الروسى وعقد الروسيون هذه المعاهدة وحازوا بواسطتها لانفسهم مساحات واسعة
من الارض التى كانوا تغلبوا عليها وادخلوا فى المعاهدة حقوق تجارتهم وتعيين الحدود بين المفصولين
من الدولتين وتقابلوا سوية فى الحدود واثبتوا حدود المملكتين فى نهر كوركشى على مسافة ثلاثمائة
فرسخ من السور الاكبر او السد الاكبر فكانت هذه اول معاهدة ما عقد قبلها الصينيون معاهدة
اخرى من ابتداء قيام مملكتهم وتاسيسها ورخصوا للروسيين فى حرية ارسالهم قافلة فى كل سنة الى
مدينة باكين عاصمة مملكتهم وكانت هذه العادة ممنوعة بالكلية مع غاية الاحتراس من دخول الامم
الغريبة فى المملكة الصينية وفى عاصمتها ومما يجب ملاحظته هنا ان التاتار والذين تطبعوا بطبايع
الصينيين وعوايدهم فانهم ما استحسنوا قاعدة سياستهم ومن مقارنة الى الحالة التى عامل بها الامبراطور
الصينى الروسيون والفلمنكيين فى نفس هذه المدة يتضح لمطالع تاريخ التقدمات الاوروباوية فى
آسيا الشرقية هذه الاحوال وذلك ان السفراء الفلمنكيين الذين ارسلوا لامبراطور الصين فى سنة
١٦٥٥ بعد الميلاد كانوا احول السفراء الاوروباوية الذين ما توجه مثلهم من قبل الى الديوان الصينى
وكان مع هولاء السفراء آخرين من التاتار ومن طرف امبراطور المغل الاكبر فى الهند ولما وصلوا باكين
فمن بعد خضوع وذل وتأخير فى انتظار طول الليل فى ديوان مفتوح لعل الامبراطور يظهر صباحا بادى
حتى ظهر فى صباح يوم من الايام ومن بعد ان استقر جالسا على تخته نحو من ربع ساعة صدر الامر العالى
لتراب هولاء الملوك بالتوجه لان الامبراطور لم يسمح بالتكرم عليهم فى الكلام والمقابلة معهم واخذوهم
جميعا واحضروهم فى خزنة فى قاعة الاستقبال فتلقى كل واحد منهم مكتوب بواسطة ترجمان حضر اليهم
من الباب الوسطانى لقاعة الاستقبال فالزم السفرا على تلقى او تناول هذه المكاتيب وهم جاثون
على ركبهم وبهذا السبب ما حصل الرضى فى قبول حضور سفراء الفلمنك بحضرة الامبراطور ابدا الا ما لم
يسجدوا التسع سجدات وكانت هذه مرعية بانها من محل اداء الاحترامات اللازم اجراها للامبراطور
بخصوص الاقرار والاعتراف بانه السيد الاعظم للعالم السفلى وكان الفلمنكيون على رغبة زايدة من عمل
اى عدد من السجدات حتى يمكنهم تيسير الحصول على قدوم بتجارة لهم فى الصين فمن ثم ساروا على راى امبراطور
الصين واستحسن حضورهم ومقابلتهم على شرط تقديم خراج كبير من مملكتهم فى نظير الاحتفال الذى عمل
لهم وفى نفس هذه السنة وصل سفير ايضا من طرف القيصر الى باكين فما قبل ان يسجد التسع سجدات
وقال ان القيصر سيده لم يكن اقل درجة من هذا الامبراطور وانه رعية القيصر ولا يمكنه ان يؤدى
احتراما لملك آخر فوق ملكه الفاتونى الشرعى فقوله من فوه راس سفير القيصر الرعب فى قلب
الامبراطور الصينى وما قبل مقابلته فلما استعد السفير للسفر صدر امر من الامبراطور بمنعه من السفر
وان لا يخرج من باكين من دون ان يقابل الامبراطور فقامت الحدة والجرأة عند سفير القيصر
واعرض الى الامبراطور بواسطة حجابه ان القيصر سيده ابطل حقوق خضوع الذل والهوان من
رعاياه وانه لا ينبغى له ان يخس ويكسر شرف سيده فقوله من جراءة السفير واصراره جزما
على ما كان فيه من عدم الخضوع والسجود للامبراطور ضعف فى قوة الشوكة والحدة التى كانت عليها
الامبراطور الصينى واما الفلمنكيون فانه وقع لهم تمام الضعف والهوان وخابر سفير القيصر مملكته
فيما يخص بامر التجارة وتقويتها واهلها والعساكر الموجودة على الحدود وبواسطة هذه المخابرات
عقد القيصر مع امبراطور الصين معاهدة مهمة كبيرة واما شروط المعاهدة هذه هذه التى عقدها الا
مبراطور مع الروسيين والجواب الاخير الذى اعطاه للفلمنكيين فكانت عبارة عن سطرين مختصرين
فى القول السياسى فى المعاملة معهم فى التجارة وكان الجواب هو النهائى هو

Copyright © King Saud University